ظواهر صوتية بارزة في سورة "ق"

الأستاذ المشرف: د. زوقاي محمد
أ(ة). خديجة بن حليمة
جامعة يحي فارس المدية– الجزائر

ملخص:

القرآن كله إعجاز، والصوت اللغوي وجه من وجوهه فهو البنية اللغوية الصغرى المكونة للكلمات والتراكيب والآيات، وقد ارتبطت الفواصل القرآنية بمعاني هاتين الأخيرتين.

وهذه الدراسة ومضة لغوية نحاول فيها إبراز بعض الظواهر الصوتية لسورة "ق"، والمتمثلة في انسجام الأصوات بورودها وتكرارها وفق نمط معين توافق ودلالة السورة، من خلال إحصاء تكرارها وربط ذلك بالدلالة، منطلقين في ذلك من مفهوم الحرف، فالصفة التي يتميز بها عن غيره بالمخرج؛ إذ المخرج للحرف كالميزان تعرف به كميته والصفة كالناقد تعرف به كيفيته. وقد تم التطرق إلى البعض من هذه الصفات من جهر وهمس وشدة ورخاوة كما تم التطرق في الأخير إلى انسجام الأصوات والألفاظ في الفاصلة الواحدة، تاركا وراءه في كل مرة إيقاعا شكليا ودلاليا معجزا.

Abstract:

This study aims to highlight some of the acoustic aspects of Surat "Qaf", which are represented in the harmony of sounds in their advent and repetition according to a certain pattern that accords with the indication of Surat "Qaf". As well as the harmony between words per interval; leaving behind every time a formal, indicative, mirawlous harmony.

المقال:

تعد موسيقى لغة القرآن بجرسها الفريد وإيقاعها وسيلة للفت الأنظار إليه من جهة، وتحديا لما عرف به العرب من تفنن وبراعة في القول، لكن الأبرز في نظم القرآن هو اختياره ألفاظا تتلاءم في صورتها السمعية مع الصورة الذهنية فتضفي تناسقا وانسجاما ينقل القارئ إلى جو الآية وموضوعها.

صفات الأصوات والحروف وجرسها الموسيقي:

الصوت اللغوي:

"ينتج الصوت الإنساني اللغوي أثناء عملية الزفير عموما يندفع الهواء من الرئتين مارا بالقصبة الهوائية والحنجرة والفم، حيث يعترض تيار الهواء المتدفق بعوائق بشكل أو بآخر حسب طبيعة الصوت المنتج والأعضاء المساهمة في إنتاجه، وهذا الاعتراض يؤدي إلى حدوث اضطراب في تيار الهواء داخل جهاز النطق فتنتج عنه موجات الهواء التي تنتقل من فم المتكلم إلى خارج أذن السامع (في أغلب الأحيان)، حيث تجري عدة عمليات ميكانيكية للصوت داخل الأذن الداخلية تتجسد في إشارات إلى الدماغ، وهناك تعلل هذه الإشارات لتمنح قيما لغوية يتم على أساسها التواصل بين المتكلم والسامع".[1]

[1] البريسم قاسم: علم الصوت العربي في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، دار الكنوز الأدبية، بيروت، ط1، 2005، ص145-146.

الحرف:

إن مادة (ح، ر، ف) أينما وقعت في الكلام يراد بها حد الشيء، إنما حدته وناحيته[1]، وهذا ما ذهب إليه الزمخشري، فقد ذكر أمثلة توضيحية يتبين من خلالها معاني الحرف اللغوية "فانحرف عنه وتحرف، وحرف القلم، وقلم محرف، وحرف الكلام. وكتب بحرف القلم وقعد على حرف السفينة أي قعدوا على حروفها"[2]

وقد أطلق **بن جني** (392هـ) مصطلح الحرف على الموضع الذي ينقطع فيه الصوت الخارج مع النفس مستطيلا متصلا في موضع معين من الجهاز النطقي فقال: "إن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقطع يثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا"، وجعل لفظ الحرف مرادفا للمخرج[3] .

ويربط **الجرجاني** تعريفه للحرف بين المعنى اللغوي والاصطلاحي، يقول: " الحرف هو كل شيء طرفه وشفيره وحده، وواحد من حروف الهجاء سميت حروف التهجي بذلك لأنها أطراف الكلمة، ويستعمل في معنى الكلمة، يقال: إذا مثلا حرف أي كلمة "[4]. ويدقق **سيبويه** في ذلك أكثر إذ يقول: " فالكلم اسم وفعل

---

[1] ابن جني: سر صناعة الإعراب، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر،ط1، 1954، ج1، ص15.

[2] الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص8.

[3] رشيد عبد الرحمن العبيدي: معجم الصوتيات مرتب على الألفباء، مركز البحوث والدراسات الاسلامية، جمهورية العراق، ط2، 2007، ص 83.

[4] الزمخشري: أساس البلاغة، مرجع سابق، ص81

وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل "[1] ومثل للحرف بـ: واو القسم، لام الإضافة، ثم وسوف نحوها.[2]

هذه المفاهيم لم تحدد المعنى الذي جاء له الحرف إن كان في ذاته أم مع غيره، غير أننا نجد **أبا علي الفارسي** ذكر أن الحرف هو ما جاء لمعنى في غيره. وأشمل تعريف يجمع بين المعنى اللغوي والاصطلاحي ما ذكره **الجرجاني** في قوله: " ما دل على معنى في غيره والحرف الأصلي ما ثبت في تصاريف الكلمة لفظا وتقديرا، والحرف الزائد ما سقط في بعض تصاريف الكلمة، وحرف الجر ما وضع لإفضاء الفعل أو معناه إلى ما يليه نحو مررت بزيد، وأنا مار بزيد "[3].

هذا من الناحية اللغوية أما فيزيائيا فإن " الحرف مخالفا للصوت فالحرف عندهم هو الرمز المكتوب، أما إصاتته في النطق فهو الصوت مثلما يرى الكثير من المعاصرين"[4].

ولهذه الحروف صفات نستطيع من خلالها تمييز الحروف المشتركة في نفس المخرج، وتحسين النطق بالحروف، وذلك بإعطاء كل حرف مستحقه مخرجا وصفة.

---

[1] سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، ومكتبة الخانجي بالقاهرة1988، ج1، ص12.

[2] المرجع نفسه.

[3] أبوا البقاء الكفوي: الكليات، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيرت، لبنان، ط2، 1993، ص393.

[4] رشيد عبد الرحمن العبيدي: معجم الصوتيات، مرجع سابق، ص 83.

الصفات:

أما الصفة كيفية تتميز بها الحروف المشتركة بعضها عن بعض كما تتميز غيرها بالمخارج، إذ المخرج للحرف كالميزان تعرف به كميته، والصفة كالناقد تعرف به كيفيته.

فالصفات: هي الحالات التي يتصف بها الحرف المنطوق من قوة أو ضعف أو جهر أو همس أو شدة أو رخاوة أو ما أشبه ذلك مما يصاحبه في مخرجه. وهذه الحالات كما يقول **المازني:** هي التي تفصل بين الحروف قال: « ولو كانت المخارج واحدة والصفات واحدة لكان الكلام بمنزلة أصوات البهائم التي لها مخرج واحد وصفة واحدة لا تفهم »، والصفة تفيد المتكلم في النطق بالحروف بأن تعطي لكل ميزته من غيره، وضبط الحرف العربي حتى يستطيع غير العربي النطق به كما ينطقه العربي، ومعرفة كيفية تحسين الحرف في السمع[1].

إذا كانت الصفة هي الكيفية التي تتم بها عملية النطق، فإن الحرف هو مخرجها، وإذا كان الحرف مخرجا للصفة في كيفية الأداء، فإن الصوت اللغوي الذي يخرج من الجهاز الصوتي هو بمثابة النواة الأولى لتشكيل الحرف، ولما وجب وجود حروف متقطعة كعناصر غير دالة وجب تراصها للدلالة على معنى، ولبناء معنى وجب تمايزها وتمايز الحروف هو تمايز من حيث الصفة التي تعبر عن ذلك الحرف بكيفيات مختلفة من خلال وجود حروف مشتركة وغير مشتركة، فكان محدد الاشتراك بين هذه الحروف هو الصفة ولذا لا يمكن فصل الصوت اللغوي أو الحرف أو الصفة عن بعضها البعض لأنه لا يمكن بناء الكلام بدون

[1] المرجع نفسه، ص 112،113.

عنصر من هذه العناصر الفيزيولوجية الثلاثة وهي الأساس والركيزة في إصدار المنطوق.

ولما كان لصفة الحرف علاقة وطيدة بدلالته في الكلمة ارتأينا أن نولي لبعض الصفات أهمية في دراستنا هذه محاولين إبراز أثرها في دلالة السورة المدروسة – سورة "ق" – وتفسير سبب تواتر بعض الأحرف بكثرة دون غيرها.

إلا أننا خلال عملية إحصاء تواتر الحروف ركزنا على الحروف المنطوقة دون غيرها.

1- الجهر والهمس:

أ- الجهر:

الجهر في الأصوات ناتج عن" اهتزاز الوترين الصوتيين اهتزازا منتظما يحدث صوتا موسيقيا، وفي العربية حروف مجهورة يجمعها قولهم: (اطلقن ضرغم ظبي ذواد)[1] وسميت بذلك "لأنها حروف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجري معه حتى يقتضي الاعتماد ويجري الصوت ". [2]

أو هو كما يقول عبد **الغفار حامد هلال** في كتابه الصوتيات اللغوية: « المجهور هو الذي يهتز معه الوتران الصوتيان نتيجة انقباض فتحة المزمار وضيق مجرى الهواء واقتراب الوترين الصوتيين اقترانا يسمح بالتأثير فيهما

---

[1] العبيدي رشيد عبد الرحمن: معجم الصوتيات، مرجع سابق، ص 30.

[2] الخفاجي أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الحلبي: سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1982، ص30.

بالاهتزاز »[1]. أي إن إصدار الأصوات المجهورة يتطلب جهدا فيزيولوجيا يتمثل في اهتزاز الوترين الصوتيين محدث جرسا موسيقيا يتميز بالقوة مما يخلق دلالة مؤثرة في ذات المتلقي.

كما تجدر بنا الإشارة إلى أننا اتبعنا في إحصاء الحروف الترتيب الألفبائي وذلك لتسهيل عملية إحصاء كل الحروف.

توزع ورود الأصوات المجهورة في سورة "ق":

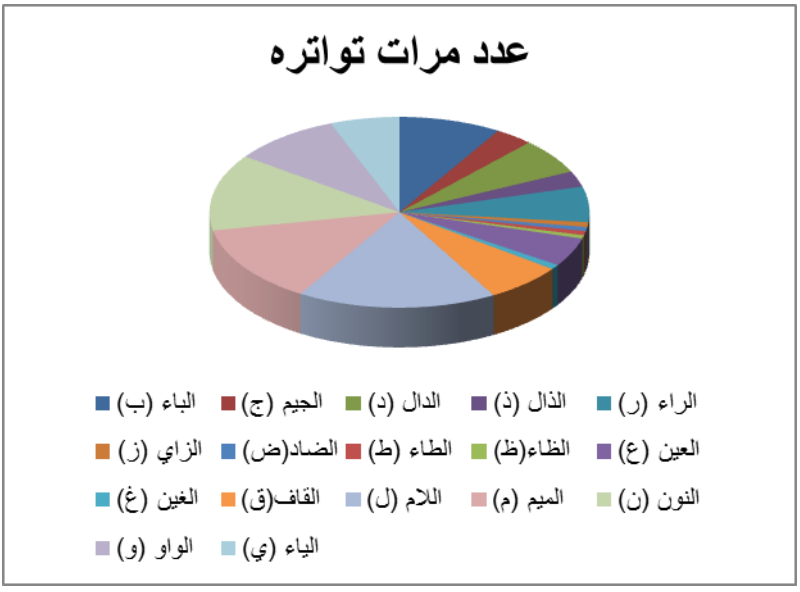

ب- الهمس

الهمس بخلاف الجهر فلا اهتزاز معه بالأوتار الصوتية فالصوت المهموس "هو الصوت الذي لا يهتز معه الوتران الصوتيان، ولا يسمع لهما رنين

[1] عبد الغفار حامد هلال: الصوتيات اللغوية دراسة تطبيقية على أصوات اللغة العربية، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2008، ص185.

حين النطق بها "[1] يجمعها قولهم: (حثه شخص فسكت)[2]، وسميت بذلك لأنها حروف أضعف فيها الاعتماد في الصوت حتى يجري معه النفس.[3]

تواتر الأصوات المهموسة في سورة "ق":

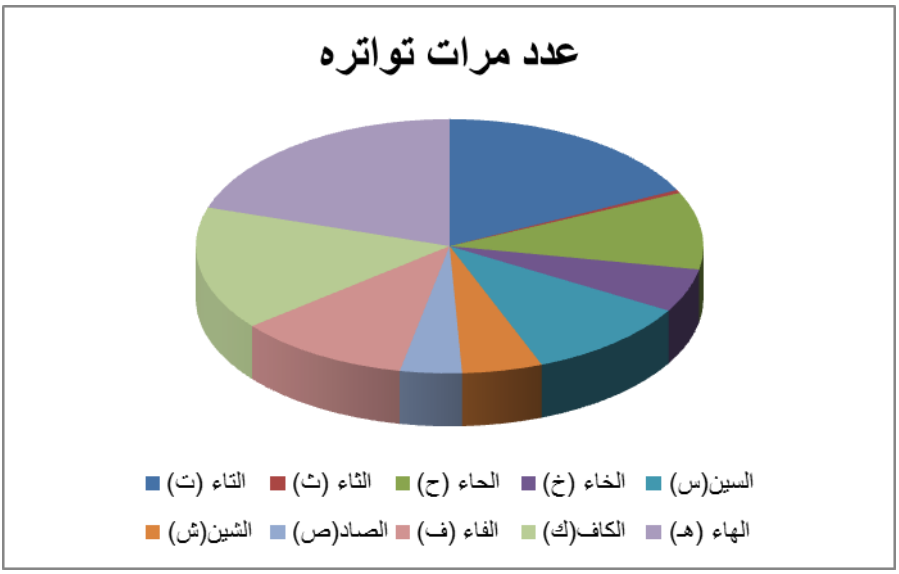

ملاحظة:

في اللغة العربية صوت محايد واحد، هو الهمزة وفي حالتها النطقية، يقوم الوتران الصوتيان بحبس الهواء خلفهما بقوة، فلا يتذبذبان. لذا فإن الهمزة صوت محايد بطبيعته في اللغة العربية، كما يوصف أيضا بأنه لا مهموس ولا مجهور.[4]

[1] أنيس ابراهيم: الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها بمصر، دط، دت، ص 76.

[2] العبيدي رشيد عبد الرحمن: معجم الصوتيات، مرجع سابق، ص 214.

[3] الخفاجي الحلبي: سر الفصاحة، مرجع سابق، ص 30.

[4] البريسم قاسم: علم الصوت العربي، مرجع سابق، ص 190.

إذا تأملنا كلا من الدائرة النسبية الخاصة بالصوت المجهور والدائرة الخاصة بالصوت المهموس نلاحظ تباينا كبيرا من حيث عدد الأحرف الواردة في سورة ق. حيث بلغ عدد الأصوات المجهورة 857 صوتا (77,13%)، في حين نجد الأصوات المهموسة قد وردت 254 مرة (22,8%)على مستوى مساحة الآيات الكريمة. وهذا ما يتوافق مع طبيعة مواضيع سورة "ق" فهي تحمل في طياتها قضية البعث والنشور بدءا من قضية الحياة بعد الموت، والبعث بعد الفناء – قيام الساعة – فالأصوات المجهورة ذات وقع قوي ومؤثر، مما يجعل الآيات ملفتة للانتباه. ومثال ذلك: ما ورد من تهديد ووعيد في قوله عز وجل: ﴿ **وَكَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَكُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ بَطْشًا فَنَقَّبُواْ فِي ٱلْبِلَـٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ** ﴾[1]

الحقيقة التي يشير إليها هنا هي حقيقة سبق ذكرها في سياق السورة، إلا أنها حين تعرض في الختام تعرض جديدة الإيقاع شديدة الوقع، بهذا التركيز وبهذه السرعة. [2]

ولعل للأصوات البارزة في هذه الآية دور كبير في ترك ذلك الوقع عند سماعها، فلو تأملنا الآية وجدنا حوالي 70% من الأصوات المجهورة (اثنين وثلاثين صوتا من أصل ست وأربعين صوتا).

وهذا ما يتوافق مع الدراسات الحديثة حيث برهن الاستقراء على أن: "نسبة شيوع الأصوات المهموسة في الكلام لا تكاد تزيد على الخمس أو عشرين في المئة منه في حين أن أربعة أخماس الكلام تتكون من أصوات مجهورة، وإلا فقدت

[1] سورة ق، الآية 36.

[2] سيد قطب: في ظلال القرآن، ج6، مرجع سابق، ص 3366.

اللغة عنصرها الموسيقي، ورنينها الخاص الذي نميز به الكلام من الصمت والجهر من الهمس والأسرار"[1] أي الإكثار من الأصوات المجهورة يؤكد الحرص على الجهر بالقول لأنها توحي باستحالة السكوت فهي ترتبط في الغالب بالتفاعل لما فيها من شدة وجهر وانفتاح على عكس الأصوات المهموسة التي تجسد التأمل والهدوء، كما أنها تخفف من وطأة التفاعل واجتماع هاتين الصفتين بهذه الطريقة يعطينا دلالة خاصة.

وإذا تأملنا الأصوات المجهورة وجدنا الحضور الكبير للام والميم والنون على الترتيب حيث بلغ تواتر كل منها في السورة 146(17%) – 114(13%) – 112 مرة.

اللام: " صوت أسناني لثوي جانبي مجهور ". أما صوت الميم فهو" شفوي أنفي مجهور منفتح "[2]، يتم إنتاج هذا النوع من الأصوات" بانطباق الشفتين انطباقا تاما عند النطق بصوت الميم فيقف الهواء أي يحبس حبسا تاما في الفم، ويخفض الحنك، فيتمكن الهواء الصاعد من الرئتين من المرور عن طريق الأنف بسبب ما يعتريه من ضغط وتتذبذب الأوتار الصوتية عند النطق بصوت الميم "[3]، وقد جاء هذا التواتر الكبير لكل من الميم واللام مناسبا لما جاء في السورة من الوعيد والجزاء.

---

[1] أنيس ابراهيم: الأصوات العربية، مرجع سابق، ص 23.

[2] الفاخري صالح سليم عبد القادر: الدلالة الصوتية في اللغة العربية، مؤسسة الثقافة الجامعية، د ط، د س، ص 143.

[3] أحمد كمال بشر: علم الأصوات، مرجع سابق، ص 348.

النون: " صوت أسناني لثوي أنفي مجهور "[1]، يقول فيه **العلايلي:** « إنها للتعبير عن البطون في الأشياء ». ويقول عنها **الأرسوزي:** « إنها للتعبير عن الصميمية » وهذه الإيحاءات الصوتية في النون مستمدة أصلا من كونها صوتا هجائيا ينبعث من الصميم للتعبير، عفو الفطرة عن الألم العميق (أن أتينا) ولذلك كان الصوت الرنان ذو الطابع النوني (أي ذو المخرج النوني)، الذي تتجاوب اهتزازاته الصوتية في التجويف الأنفي، هو أصلح الأصوات قاطبة للتعبير عن مشاعر الألم والخشوع[2]. كما يدل حرف النون على معنى الظهور بداية أكثر من الألفاظ مثل: نبع– نبأ... [3]

وفي النص القرآني – سورة "ق" – استطاع بتكراره ومخرجه أن يؤكد قدرة الله العظيمة المتجلية في الكون والمخلوقات في قوله تعالى: ﴿ **أَفَلَمْ يَنْظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ، وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَ أَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَ'سِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ** ﴾ [4]

---

[1] المرجع نفسه، ص 349.

[2] حسن عباس: خصائص الحروف العربية ومعانيها دراسة، منشورات الكتاب العربي، د ط، 1988، ص 150.

[3] المبارك محمد: فقه اللغة وخصائص العربية، دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد، دار الفكر للطباعة والنشر، د ط، د س، ص 177.

[4] سورة "ق"، الآية 6-7.

ت- الشدة والرخاوة:

ث- الشدة:

الشديد من الأصوات (الانفجاري والحبسي) هو "الحرف الذي يمنع الصوت أن يجري فيه"[1]، وهذا ما ذهب إليه **سيبويه**[2]، يقول **ابن الأنباري:** «ومعنى الشديد أنها حروف صلبة لا يجري فيها الصوت، فلذلك سميت شديدة»[3]

وللمبرد في تفسير الشديد مذهب يختلف عن **سيبويه** فعنده أنها حروف تمنع النفس. وأما المجهورة فهي التي يرتعد الصوت فيها، وأما **الرماني** فيرى أن الشديد هو الذي يشتد فيه بلزوم موضعه لا شدة الموقع، والمجهور يقوي الاعتماد فيه شدة الوقع[4].

فالصوت الشديد إذن هو الذي ينحبس عنده مجرى النفس المندفع من الرئتين لحظة من الزمن (في مخرجه) وذلك بالتقاء عضوين من جهاز النطق ثم انفصالهما انفصالا فجائيا فيندفع الهواء المحبوس فجأة محدثا صوتا انفجاريا.

أما عن الأصوات الشديدة فقد اختلف القدماء والمحدثون في تحديدها فنجدهم يتفقون على أن الأصوات الآتية شديدة (ء – ب – ت – د – ط – ق – ك)، وقد اختلفوا في الأصوات الآتية (ح – ض – ع). فالجيم – عند القدماء –

---

[1] الخفاجي الحلبي: سر الفصاحة، مرجع سابق، ص 30.

[2] سيبويه أبو بشر عمر وبن عثمان بن قنلي: الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج4، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرقاعي بالرياض، ط2، 1982، ص 334.

[3] الأنباري أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد: أسرار اللغة، تحقيق: محمد عجة البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، دط، دس، ص 424.

[4] العبيدي رشيد عبد الرحمن: معجم الصوتيات، مرجع سابق، ص 105.

شديد على حين أنه عند المحدثين قليل الشدة، أوإنفجاري احتكاكي، والضاد – عند القدماء – قليل الشدة على حين أنه عند المحدثين أو باصطلاحهم انفجاري أما العين فهو متوسط عند القدماء مختلف فيه عند المحدثين[1].

ج- توزع ورود الأصوات الشديدة (الانفجارية، الحبسية) في سورة "ق":

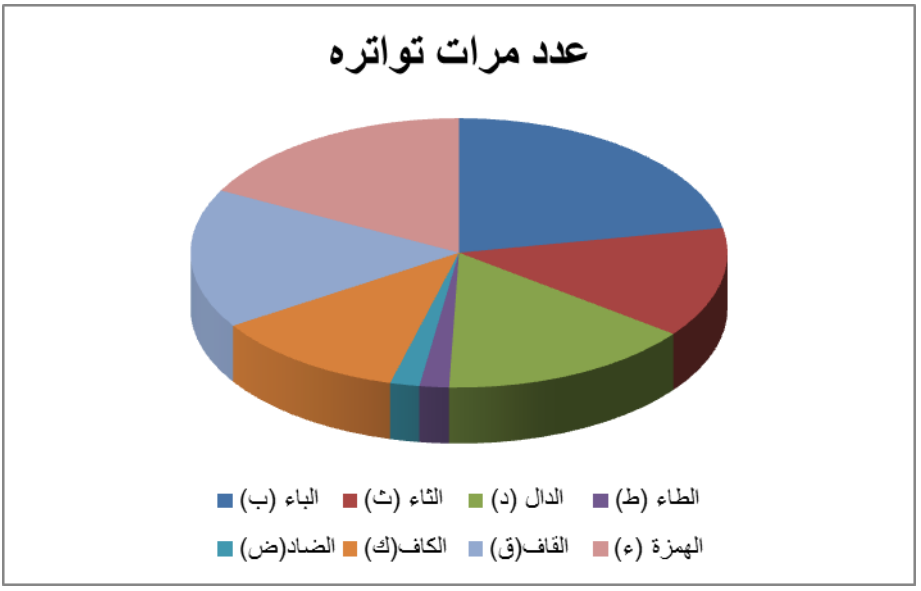

ب- الرخاوة:

الرخوة هي الحروف التي لا تمنع الصوت أن يجري فيها[2]، فلا ينحبس الهواء انحباسا محكما، وإنما يكتفي بأن يكون مجراه ضيقا[3]، فيمر محتكا بالعضوين اللذين سببا تضييق مجراه دون انفجار، ويسمى كذلك: احتكاكي أو

[1] عبد الغفار حامد هلال: الصوتيات اللغوية، مرجع سابق، ص 195، 196.

[2] الخفاجي الحلبي: سر الفصاحة، مرجع سابق، ص30.

[3] أنيس ابراهيم: علم الأصوات، مرجع سابق، ص25.

تسريبي، والأصوات الرخوة وفق الدرس الحديث هي: الفاء، الظاء، الدال، الثاء، الزاي، السين، الصاد، الشين، الغين، الحاء، والهاء، أي أنها نتيجة مرور الهواء من منفذ يضيق نسبيا بحيث يحدث حفيفا مسموعا[1].

وهناك أصوات بين الشديدة والرخوة (بينية أو متوسطة أو مائعة) كما عند المحدثين وهذه الأصوات هي: الواو، الياء، اللام، الراء، الميم، النون، فهي تسمح للهواء الخفيف بالمرور حال التفوه بالحرف يجمعها القدماء في" لم يروعنا".

تواتر الأصوات الاحتكاكية (الرخوة) في سورة "ق":

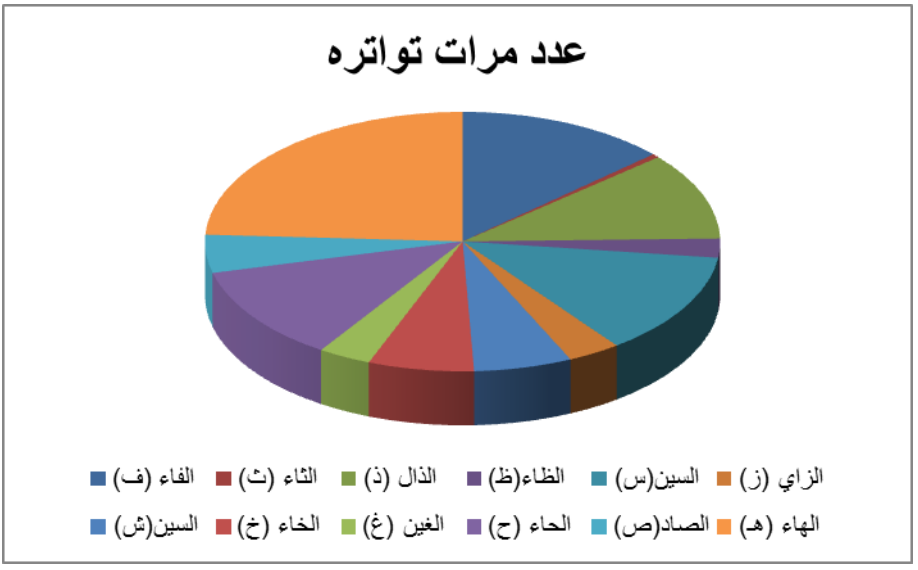

نلاحظ من خلال الدائرة النسبية أن الأصوات الشديدة بلغت على مستوى النص القرآني 340 صوتا(57, 33%)، وهي كمية صوتية تتطلب جهدا صوتيا عاليا ونفسا طويلا لنطقها – كما رأينا في مفهوم الشدة –

[1] أحمد كمال بشر: علم الأصوات، مرجع سابق، ص 126.

والسبب في هذا التواتر الكبير في الأصوات الشديدة في سورة "ق" يعود إلى ما تحتويه السورة من مواضيع، فهي تعالج أصوات العقيدة الاسلامية، ولكن المحور الذي تدور حوله هو موضوع البعث والنشور، هذه السورة شديدة الوقع على الحس عن القلب والنفس، وتثير فيها روعة الإعجاب ورعشة الخوف بما فيها من ترغيب وترهيب.

الأصوات الانفجارية الأكثر ورودا في سورة "ق"، هي كل من الباء والهمزة والقاف، فقد بلغت هاته الأصوات على الترتيب: 57(17%). 59(17%). 75 (22%)مرة على مساحة الآيات الكريمة. وقد جاء هذا التواتر مناسبا لأغراض الآيات بل وضروريا للسياق الذي ذكرت لأجله، خاصة حين الحديث عن المكذبين من الأمم السالفة، وما حل بهم من كوارث وأنواع العذاب في قوله تعالى: ﴿ **كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ، وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَ إِخْوَانُ لُوطٍ، وَأَصْحَابُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمٌ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ** ﴾[1]

وإذا تأملنا هذه الحروف نجد أنها حروف شديدة يصاحب خروجها انتفاخ المخرج دفعة واحدة، ما يعطي الصوت قوة، فارتبط ذلك بالحالات الانفعالية والتهديد والوعيد وعظيم الجزاء.

الهمزة: صوت حنجري شديد منفتح[2]، وأفاد وجوده وكذا تكراره بكثرة في السورة الكريمة – سورة "ق" – التنبيه مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ **أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا**

[1] سوة ق، الآية 12-14.

[2] الفاخري صالح سليم عبد القادر: الدلالة الصوتية في اللغة العربية، مؤسسة الثقافة، دط، دس، ص 142

ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴾[1]، والتقدير: "أنرجع إلى الحياة في حين انعدام الحياة منا بالموت وحين تفتت الجسد وصيرورته ترابا، وذلك عندهم أقصى الاستبعاد".[2]

وكأنما هذه الآية هي عبارة عن استنطاق لموقف الكفار وإنكارهم لقضية البعث إذ إن الله عز وجل عرض فكرة انكارهم بأسلوب استفهامي كان الغرض منه التنبيه. أي أن الهمزة هنا بانفجارها صورت ووصفت هذا المشهد تصويرا بارعا من خلال" أَءِذَا "التي تحمل استفهاما استنكاريا كناية عن الاستبعاد واستحالة البعث ووقوع يوم القيامة.

يذكر **حسن عباس** في كتابه " خصائص الحروف العربية ومعانيها " صوت الهمزة فيقول عنه: " وصوت الهمزة في أول اللفظة يضاهي نتوءا في الطبيعة... وهو يأخذ في هذا الموقع صورة البروز كمن يقف فوق مكان مرتفع، فيلفت الانتباه كهاء التنبيه، ولكن بفرق أن الهاء شعورية والهمزة بصرية، والصورة البصرية تتصف بالحضور والوضوح والعيانية "[3].

كما أشار إلى أن الهمزة وسط الكلمة أو في آخرها لا يذكر لها تأثير في المعاني[4].

الباء والقاف: هي أصوات القلقلة التي لها وقع قوي.

---

[1] سورة ق، الآية 3.

[2] بن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ج26، الدار التونسية، تونس، ط1، 1984، ص 280.

[3] حسن عباس: خصائص الحروف العربية ومعانيها، مرجع سابق، ص 33.

[4] المرجع نفسه، ص 94.

الباء: صوت انفجاري شديد، مجهور، منفتح[1]، تنفتح وتتباعد الشفتان في أثناء خروجه بقوة، وفي ذلك إشارة إلى التباعد والانفصال[2]. مثال ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَآأَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ** ﴾[3].

والمعنى: " لا تختصموا في دار الجزاء وموقف الحساب فلا فائدة في اختصامكم ولا طائل تحته، وقد أوعدتكم بعذابي على الطغيان في كتبي على السنة رسلي، فما تركت لكم حجة علي "[4].

القاف: تنبه **الزركشي** إلى اشتمال سورة "ق" على ذات الحرف، لما في صوت القاف من القلقلة والشدة من جهة، ولاشتماله على الجهر والانفتاح من جهة أخرى[5]، وفصل لما جاء به فقال: " تأمل السورة التي اجتمعت الحروف المفردة: كيف تجد السورة مبنية على كلمة ذات الحرف، فمن ذلك﴿ **قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ** ﴾ فإن السورة مبنية على الكلمات القافية: من ذكر القرآن، ومن ذكر الخلق، وتكرار القول ومراجعته مرارا، والقرب من ابن آدم، وتلقي الملكين، وقول العتيد، وذكر الرقيبين وذكر السابق، والقرين والإلقاء في جهنم، والتقدم بالوعد، وذكر المتقين،

---

[1] صالح سليم عبد القادر: الدلالة الصوتية في اللغة العربية، مرجع سابق، ص 143.

[2] فخرية غريب قادر: عمليات الدلالة الايحائية في الخطاب القرآني في ضوء اللسانيات المعاصرة سورة التوبة نموذجا، عالم الكتب الحديث، داريد، الأردن، ط1، 2011، ص 23.

[3] سورة ق، الآية 27.

[4] الزمخشري جار الله أبي اقاسم محمود بن عمر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجود التأويل، ج5، تحقيق: عادل أحمد أبو الجود، مكتبة العبكية، الرياض، ط1، 1998، ص 600.

[5] الصغير محمد حسين علي: الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص 91-92.

وذكر القلب، والقرن، والتنقيب في البلاد، وذكر القتل مرتين، وتشقق الأرض، وإلقاء الرواسي فيها، وبسوق النخل والرزق، وذكر القوم وخوف الوعيد، وغير ذلك"[1].

كل معاني السورة تتناسب مع هذا النوع من الأصوات لما تحتويه من صفات من قوة وشدة.

من خلال دراستنا لهذه الصفات اتضح لنا أثرها وهي متداخلة بهذا الشكل مولدة جرسا موسيقيا فريدا وصدى قويا في النفس بما يتطلبه موضوع السورة.

الفاصلة :

تعد الفاصلة* من أهم الظواهر التي يتميز بها القرآن فحروفها المشكلة لها تمنح وقعا نغميا ووضوحا سمعيا عند المتلقي، ولها مهمة لفظية ومعنوية مما يسهم في تناسب الآيات وارتباط دلالتها، فلا تفريط في الألفاظ على سبيل المعاني، ولا إهمال للمعاني على حساب الألفاظ. وهذا ما زاد من الرقي بالفاصلة في مستويات؛ عدة البلاغية منها والدلالية وكذا الصوتية.

[1] الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، ج1، مكتبة دار التراث، القاهرة، دط، دت، ص 169.

* لا يجوز تسمية الفاصلة بالقافية إجماعا، لأن الله لما سلب عن القرآن اسم الشعر وجب سلب القافية عنه أيضا والبديل هو الفاصلة كما لا يصح تسمية نهايات الآيات المتماثلة بالسجع بل يدعى تماثل الفواصل.

الفاصلة في القرآن:

الفاصلة في القرآن الكريم "آخر كلمة في الآية، كالقافية في الشعر، وقرينه السجع في النثر".[1] قال القاضي **أبو بكر الباقلاني:** «الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع، يقع بها إفهام المعاني».[2]

وسورة "ق" لم تخل من الفاصلة إذ نجد معظم آياتها تنتهي بحرفي الياء والدال، يقول **حسن عباس** في حرف الدال: «أصم أعمى مغلق على نفسه كالهرم، لا يوحي إلا بالأحاسيس اللمسية وبخاصة ما يدل على الصلابة والقساوة وكأنه من حجر الصوان. وهذا الانغلاق جعله في عزلة عمياء صماء عن أي إحساس آخر أو مشاعر إنسانية مما جعله أصلح للتعبير المباشر عن الظلام والسواد»[3]. أي أن حرف الدال إذا ورد في الألفاظ، دلت الألفاظ على القوة والشدة.

وإذا تأملنا السورة الكريمة وجدنا وقوع حرفي الياء والدال يتناسب مع الخطاب الموجه للمتلقي خاصة أنه يتحدث عن الكفار، ومثال ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنْسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ، إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَال قَعِيدٌ، مَايَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ، وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ، وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ** ﴾[4]

---

[1] الصغير محمد حسين علي: الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص143.

[2] الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، مرجع سابق، ص53.

[3] حسن عباس: خصائص الحروف العربية ومعانيها، مرجع سابق، ص 67.

[4] سورة "ق"، الآية 16، 17، 18، 19، 20.

إذا نظرنا إلى فاصلة كل آية من الآيات المذكورة نجد لفظ "الوريد"، "قعيد"، "عتيد"، "تحيد" و"وعيد" جاءت في شكل متتالية وحرفي الياء والدال كوّنا الفاصلة بين كل آية وآية." الوريد" هو واحد من الشرايين وهو ثاني شريانين يخرجان من التجويف الأيسر من القلب. وفي الجسد وريدان وهما عرقان يكتنفان صفحتي العنق في مقدمهما متصلان بالوتين يردان من الرأس إليه وفي الآية "من حبل الوريد" هي "إضافة العام إلى الخاص أي الحبل إلى الوريد، وهي كناية عن إحاطة العلم بالحال لأن القرب يستلزم الاطلاع، ومن لطائف هذا التمثيل أن "حبل الوريد" مع قربه، لا يشعر الإنسان به لخفائه وكذلك قرب الله من الإنسان."[1]لأن الوريد هو الذي يمد الجسم بالحياة إذ يربط بين الرأس والقلب فبانقطاع هذا العرق تتوقف حياة الإنسان.

فالإنسان بطبعه إذا كانت له دراية بأنه تحت رقابة انتابه الخوف فما بالك برقيب هو الله.

كما أن لفظة " "قعيد" مستعارة للملازم الذي لا ينفك عنه كما أطلقوا القعيد على الحافظ لأنه يلازم الشيء الموكل بحفظه". [2]

أما ألفاظ "عتيد"، "تحيد"، و" الوعيد" فهي تعريض بالإنذار"[3]

إذن فهذه الألفاظ تحمل دلالة الإنذار والتخويف والترهيب، وإذا كان الخطاب، يحمل هذه الدلالات فلا بد من أن تمتاز اللفظة بالقوة والشدة والجهر.

---

[1] بن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ج26، مرجع سابق، ص300، 301.

[2] المرجع نفسه، ص302.

[3] المرجع نفسه، ص399.

فهذه الألفاظ كما سبق أن ذكرنا تنتهي بحرفي الياء والدال، وهما مجهوران والدال يمتاز بالشدة هذا ما زاد من قوة وشدة الألفاظ وخاصة أنها جاءت على التوالي. فعلى الرغم من اختلاف الألفاظ في المقاطع الأولى إلا أنها تتحد في الفاصلة "يد". فالفاصلة تحمل ميزة خاصة من الناحية الإيقاعية وكذا الجمالية الفنية اللغوية.

ففي سورة "ق" نرى أن لحرف الدال بروزا في السورة كفاصلة إذ ورد ملازما لحرف الياء مقارنة مع غيره من الحروف "الباء والجيم والظاء والطاء".

لذلك فإن ورود الفاصلة في نهاية كل آية أسهم في تناغم الآيات من الناحية الصوتية، وهذا ما أدى إلى إبراز دلالات خاصة وتمت مراعاة الفاصلة من خلال تقديم عنصر على آخر وذلك للمحافظة على المعاني والدلالات. وذلك في مثل قوله تعالى:﴿ **إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ** ﴾[1] إذ "تقدم لفظ إلينا وتأخر لفظ "المصير"، وذلك لتحقيق التناسب برعاية الفاصلة"[2]وكذلك تسبيق الدال على الباء في "**والقرآن المجيد....هذا شيء عجيب**" يترجم أن الدال أعلى المخرج والباء أدناه؛ فالقرآن محفوظ في الصدور وإذا سمعه الناس تعجبوا لمعانيه وألفاظه .

ومن الظواهر الصوتية في نسق الفواصل، نجد ظاهرة العدول وتعني خروج صوت الفاصلة عن المنظومات الصوتية السابقة واللاحقة، ويشكل الانزياح أو الخروج تموجات صوتية إيقاعية، ورصدنا في سورة "ق" ورود هذا النوع من الانزياح وذلك في قوله تعالى:﴿ **كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ،**

[1] سورة ق الآية: 43.

[2] عون علي أبو القاسم: بلاغة التقديم والتأخير في القرآن، ج2، مرجع سابق، ص305.

وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ، وَأَصْحَابُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾[1]

فصل صوت الطاء بين منظومة الدال. والطاء صوت مفخم والدال صوت مرقق إذ أن حرف الدال فيه امتداد، أما الطاء ففيه قطع لكن الجرس الموسيقي يبقى صادرا من مخرج واحد فهما حرفان نطعيان، هذا ما أعطى نغماً موسيقياً قوياً متجانسا، فعلى الرغم من اختلاف الفاصلة إلا أن آيات السورة بقيت محافظة على تناغمها ومنظومتها الصوتية.

فالسور المكية تمتاز بقصر الآيات وقوة إيقاعها وجرسها، وقصر مقاطعها، وتتابع فواصلها، هذه الظاهرة تتوافق مع الموضوع العام للسورة فهي تتناسب مع موقف الكفار من الدعوة بصفة عامة ومن القرآن خاصة، فقد كانوا معاندين مكذبين للدعوة، لذا كان وقع الآيات على الأذن قويا شديدا، باعثا الرعب في قلوبهم، مزعزعا لمشاعرهم.

الفاصلة في القرآن لم تراع حسن النظم فحسب، وإنما راعت جانب المعنى فحققت بذلك بلاغة فريدة وإيقاعا عاليا. يقول الرماني: "وفواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة لأنها طرق إلى إفهام المعاني التي يحتاج إليها في أحسن سورة يدل بها عليها"[2].

---

[1] سورة ق، الآية: 13، 14، 12.

[2] عمر أحمد مختار: دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته، دار عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2001، ص78.

والتصوير تراوح في هذه السورة بين الصورة السمعية والصورة المرئية بتدبر وتنوع في المعاني والمشاهد. نسمع القرآن ﴿**قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ**﴾[1]. ثم نتدبر معانيه ونشاهد عجائب خلقه في قوله تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَالَهَا مِن فُرُوجٍ**﴾[2] وكذا تنوع رزقه :﴿**وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَآءً مُبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّـٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ**﴾[3].

"إنه تصوير حي منتزع من عالم الأحياء، لا ألوان مجردة وخطوط جامدة. تصوير تقاس الأبعاد فيه والمسافات بالمشاعر والوجدانيات، فالمعاني ترسم وهي تتفاعل في نفوس آدمية حية، أو في مشاهد من الطبيعة تخلع عليها الحياة"[4]

[1] سورة "ق" الآية 1.

[2] سورة "ق" الآية 6.

[3] سورة "ق" الآية9.

[4] السيد قطب: التصوير الفني في القرآن الكريم، دار الشروق، مصر، ط16، 2002، ص 37-38.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

1. ابن جني: سر صناعة الإعراب، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر،ط1، 1954، ج1.
2. أبوا البقاء الكفوي: الكليات، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيرت، لبنان، ط2، 1993.
3. أحمد كمال بشر: علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، دط، 2000.
4. الأنباري أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد: أسرار اللغة، تحقيق: محمد عجة البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، دط، دس.
5. أنيس ابراهيم: الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها بمصر، دط، دت.
6. البريسم قاسم: علم الصوت العربي في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، دار الكنوز الأدبية، بيروت، ط1، 2005.
7. بن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ج26، الدار التونسية، تونس، ط1، 1984.
8. حسن عباس: خصائص الحروف العربية ومعانيها دراسة، منشورات الكتاب العربي، د ط، 1988.
9. الخفاجى أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الحلبي: سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1982.
10. رشيد عبد الرحمن العبيدي: معجم الصوتيات مرتب على الألفباء، مركز البحوث والدراسات الاسلامية، جمهورية العراق، ط2، 2007.

11. الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، ج1، مكتبة دار التراث، القاهرة، دط، دت.
12. الزمحشري جار الله أبي اقاسم محمود بن عمر:
أ- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجود التأويل، ج5، تحقيق: عادل أحمد أبو الجود، مكتبة العبكية، الرياض، ط1، 1998.
ب- أساس البلاغة، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
13. سيبويه أبو بشر عمر وبن عثمان بن قنلي: الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج4، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرقاعي بالرياض، ط2، 1982، ص 334.
14. سيد قطب:
أ- التصوير الفني في القرآن الكريم، دار الشروق، مصر، ط16، 2002.
ب- في ظلال القرآن، ج6، دار الشروق، بيروت، ط10، 1982.
15. صالح سليم عبد القادر: الدلالة الصوتية في اللغة العربية، مرجع سابق، ص 143.
16. الصغير محمد حسين علي: الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2000.
17. عبد الغفار حامد هلال: الصوتيات اللغوية دراسة تطبيقية على أصوات اللغة العربية، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2008.
18. عمر أحمد مختار: دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته، دار عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2001.
19. عون علي أبو القاسم: بلاغة التقديم والتأخير في القرآن، ج2،دار المدار الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان،2006.
20. الفاخري صالح سليم عبد القادر: الدلالة الصوتية في اللغة العربية، مؤسسة الثقافة الجامعية، د ط، د س.

21. فخرية غريب قادر: عمليات الدلالة الايحائية في الخطاب القرآني في ضوء اللسانيات المعاصرة سورة التوبة نموذجا، عالم الكتب الحديث، داريد، الأردن، ط1، 2011.
22. المبارك محمد: فقه اللغة وخصائص العربية، دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد، دار الفكر للطباعة والنشر، د ط، د س.